

ثقافة الحرية والتنوير خيارنا

بقلم: يحيى يخلف

يصدر هذا العدد تبدأ (أوراق فلسطينية) سنتها الثانية مواصلة نشر وتعميم المعرفة وثقافة التنوير، وتعظيم ثقافة الحرية والديمقراطية والكرامة والقيم الإنسانية وتعميق محتواها من خلال دراسات جادة لمفكرين فلسطينيين وعرب حازت على التقدير والإعجاب من قراء ونخب ومؤسسات، ووجدت المجلة تقديراً من مراكز ثقافية مرموقة اذ احتفى بها معهد العالم العربي في باريس، واحتفى بها أيضاً معرض القاهرة الدولي للكتاب في دورته الأخيرة في كانون الثاني/يناير الماضي، ومثل ذلك نجاحا لمؤسسة ياسر عرفات، وإضافة نوعية لجهودها وإنجازاتها الأخرى في رعاية الإبداع (جائزة الإنجاز)، وتأسيس المتحف، وتوثيق تراث وأرشيف الزعيم والرمز ياسر عرفات، و تراث وتاريخ الثورة الفلسطينية.

وفي عام جديد نواكب مستجدات وتحديات سياسية تواجه القضية الفلسطينية، وتواجه المحيط القومي والإقليم وتواجه تغيراً في سمات الوضع الدولي.

القضية الفلسطينية عالقة بين برائن السياسة الدولية، وبالتحديد برائن الولايات المتحدة التي رعت المفاوضات الفلسطينية منذ أكثر من تسعة عشر عاماً دون تحقيق نتائج بسبب التعنت الإسرائيلي وانحياز الولايات المتحدة التي لم تكن راعياً أميناً، وبها هي محاولتها البائسة في الآونة الأخيرة لوضع خطة اطار لمفاوضات الحل النهائي فيما يعرف بخطة وزير الخارجية (جون كيري)، لتفرضها على الطرفين، وما يرشح من تسريبات ومعلومات تؤكد انحيازاً اميركياً الى الأطماع الإستيطانية الإسرائيلية الرامية الى ادامة الإحتلال والإستيطان وتهويد القدس والأغوار والسيطرة

على المعابر وتصفية حقوق اللاجئين، وحرمان الفلسطينيين من حقوقهم المائية واراغهم على الإعترااف بيهودية الدولة، وتحويل فكرة الدولة الى معازل غير مرتبطة جغرافيا، اي فرض اتفاقية اذعان، اتفاقية استسلام لن يقبل بها الشعب الفلسطيني ولن تقبل بها قيادته، وعندها تحمّل اميركا مسؤولية الفشل على الجانب الفلسطيني، وتسلط العقوبات على السلطة الفلسطينية. يحدث ذلك في غياب دعم عربي فعّال بسبب انشغال الدول العربية بقضاياها الداخلية، ولا يعني ذلك ان الشعب الفلسطيني قد فقد الأمل فما زال هناك مجتمع دولي واخلاقيات انسانية في العالم تدعمه وتدين السياسات العنصرية الإسرائيلية، وتدين المستوطنات وتقاطع منتجاتها وبضائعها وكل من يتعامل معها من مؤسسات اسرائيلية وتسلط عليها العقوبات، ويتمثل ذلك بقرار الإتحاد الأوروبي الذي وضع موضع التنفيذ منذ كانون الثاني/يناير ٢٠١٤، وكذلك اتحاد جمعية الأكاديميين الأميركية التي اتخذت قرارا بمقاطعة المؤسسات الأكاديمية الاسرائيلية واتهمتها بتنفيذ سياسات عنصرية والعديد من الجمعيات الأهلية المنتشرة في مختلف دول العالم. ومن المفارقة المؤلمة ان يقابل هذا التطور والدعم والتضامن بصمت عربي، ومواصله تعطيل سلاح المقاطعة العربية مع اسرائيل والذي كانت له مكاتب في اطار الجامعة العربية ذات يوم.

إن تفعيل قرار المقاطعة في الدول العربية، يتماشى مع القانون الدولي فأوروبا سلّطت عقوبات اقتصادية واكاديمية ومصرفية على المستوطنات استنادا الى قرارات الشرعية الدولية التي تعتبر الإستيطان غير شرعي ويرقى الى جريمة حرب، وستلحق هذه العقوبات باسرائيل خسائر قدرها الخبراء بثمانية مليار دولار سنويا، ومن هنا فإن تفعيل المقاطعة العربية ستكون قانونية وشرعية امام المجتمع الدولي، ومن غير المعقول ان لا يجد القرار الأوربي صدى واستجابة في الوطن العربي، لذا فعلى النخب الفكرية أخذ زمام المبادرة لتأسيس جمعيات أهلية وشعبية تركز جهودها لمقاطعة الإستيطان وتسلط العقوبات على اسرائيل ومستوطناتها، لسد فجوة التقصير الرسمي العربي.

* * *

ويشهد الوضع الدولي صراع القوى الكبرى في سباق كسب المصالح ومناطق النفوذ وصراع الإيرادات، فالأزمات في دول ما أسميناه الربيع العربي صعّدت من هذا الصراع وفتحت الأبواب أمام لعبة الأمم، ووسمت السياسات الدولية بسمات عودة الحرب الباردة، الأزمة السورية نموذجاً، فالصراع على سوريا من قبل الدول الكبرى هو صراع مصالح، وما لاحظناه في مؤتمر جنيف أن التفاوض لم يكن بين المعارضة والحكومة السورية بقدر ما كان بين الولايات المتحدة وروسيا، ووجدت روسيا من الأزمة السورية وسيلة للحفاظ على مصالحها ولاستعادة المكانة التي فقدتها بانهياف الإتحاد

السوفياتي، كما ان الولايات المتحدة ومعها حلفاؤها تدرك أهمية ومكانة وموقع سوريا الاستراتيجي في اطار مصالحها وسياساتها، لذا فالصراع على سوريا لم يعد خافيا على أحد، وهو صراع يدفع ثمنه الشعب السوري الشقيق دما وترويعا وتهجيرا وقتلا وتدميرا ومجازر ومذابح.

ولا تتوقف التدخلات عند سوريا، فساحة الوطن العربي ميدان فسيح لهذه التدخلات والصراع على مناطق النفوذ والمصالح، فتحالف الولايات المتحدة مع الإخوان في مصر كان يهدف الى افرغ ثورة يناير من مضمونها وأهدافها في الحرية والكرامة والعدالة، وحماية مصالحها، وضمان أمن اسرائيل، ولذلك اعتبرت ثورة يونيو انقلابا عسكريا متجاهلة حركة الجماهير التي نزلت الى الشوارع نازعة الشرعية عن حكم الإخوان.

وما محاولة الدولة المصرية التوجه الى مصادر تسليح من روسيا الأعمال سياسيا يهدف إلى إحداث توازن في علاقات مصر الدولية، وهذا يذكرنا بسياسة جمال عبد الناصر الذي أقام علاقة ندية مع الإتحاد السوفياتي، وأسس في الوقت نفسه مع عمالقة عصره (نهر، تيتو، سوكارنو) كتلة عدم الإنحياز، لكسر سطوة السياسات الاستعمارية المناهضة للتحرك الوطني.

* * *

تتكاثر التحديات الخارجية، وتزداد المعضلات والأزمات الداخلية في المنطقة العربية، والطريق نحو الاستقرار والتنمية وتحقيق الأهداف التي قامت من أجلها الثورات تبدو طويلة ويكتنفها الغموض والوحشة والفضو، والصراع الآن يتحدد بين ثقافة التنوير والحرية وبين ثقافة التكفير والإرهاب والتدخلات الخارجية، الصراع بين ثقافة الحياة وثقافة الموت، الصراع الآن على الوعي والمعرفة والحداثة وبين تغييب الوعي وتزييف المعرفة وانتاج الأصولية التي تستبطن السواد.

الصراع بين ثقافة التحرر الوطني وثقافة الاحتلال والعنصرية، بين ثقافة التنوع البشري الخلاق وثقافة الانعزال والطائفية والمذهبية.. وفي هذا المشهد القلق والمرتبك ينبغي تعزيز ثقافة التنوير والحرية والوعي والمعرفة والتنوع وثقافة الحياة، وهذا ما ندعو اليه، وهذه سياستنا الفكرية والثقافية في مجلتنا، وعلى هذه الطريق نسير.